Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« الإنسان وإن كان هو ـ بكونه إنسانًا ـ أفضل موجود ، فذلك بشرط أن يراعي ما به صار إنسانًا ، وهو العلم الحق والعلم المحكم ، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضّل ، ولهذا قيل : الناس أبناء ما يحسنون ، أي ما يعرفون ويعملون من العلوم والأعمال الحسنة . يقال : أحسن فلان ، إذا عَلِم وإذا عمل حسنًا ».

«أما الإنسان من حيث ما يتغذى ويَنسِل : فنبات ، ومن حيث ما يحس ويتحرك : فحيوان ، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار .

«وأما فضيلته فبالنطق ومقتضاه . ولهذا قيل : ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة ، أو صورة ممثلة ! فالإنسان يضارع الملك بقوة العلم والنطق والفهم ، ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح . فمن صرف همته كلها إلى تربية الفكر بالعلم والعمل فخليق أن يلحق بأفق الملك ، فيسمى مَلَكًا وربانيًّا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف : ٣١) ومن صرف همته كلها إلى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية ، يأكل كما تأكل الأنعام : فخليق أن يلحق بأفق البهائم ، فيصير إما غمرًا كثور ، أو شرهًا كخنزير ، أو ضرعًا ككلب ، حقودًا كجمل ، أو متكبرًا كنمر ، أو ذا روغان كثعلب ، أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنهُم القِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (المائدة : ٦٠) .

«ولكون كثير ممن صورته صورة إنسان ، وليس هو في الحقيقة إلا كبعض الحيوان ، قال الله تعالى في الذين لا يعقلون عن الله : ﴿ إِنْ هُم إِلاَّ كَالأنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الفرقان : ٤٤) وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لايعقِلُون ﴾ (الأنفال : ٢٢) فبين أن الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التي جعلها الله لهم هم شر الدواب ، وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لا يَسمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآء صُمٌّ بُكم عُميٌ فَهُم لاَ يَعقِلُون ﴾ (البقرة : ١٧١). أى مَثَلُ واعظِ الكافرين كمَثَلِ ناعق الأغنام ، تنبيهًا أنهم فيما يقال لهم : كالبهائم[1].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، ص ٨٦ ، ٨٧ .